علوم الحديث كمنظومة

د. فايز عبدالفتاح أبو عمير
أستاذ الحديث المشارك بكلية الشريعة جامعة جرش الأهلية الأردن

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن النظرة الثاقبة والعميقة للنظام الإسلامي تبرز بشكل لا يقبل التأويل، أن هذا النظام عبارة عن منظومة متكاملة قائمة على علاقات تبادلية شبكية تجتمع معاً ليظهر الإسلام بشكله الذي أراده الله تعالى، وإنَّ حذف أي جزء من أجزاء المنظومة، أو عدم إدراك للعلاقات الوثقى بين أجزاء النظام يؤدي إلى خلل في النظام كله.

من هنا يحرص الإسلام على أن يطبق كاملاً غير منقوص، لأن ذلك يؤدي إلى خلل منظومة الإسلام الكبرى، وإن أي إظهار للإسلام على أنه عبارة عن حلول جزئية ترقيعية لا يمكن أن تظهر صورة الإسلام الحقيقية، وهذا ما حصل بالفعل في عصرنا الحاضر عندما طبقت بعض الأنظمة في العالم العربي والإسلامي الإسلام بشكل جزئي في ظل غياب أو تغييب- باقي أنظمته، مما أدى ذلك إلى إظهار صورة مشوهة عن الإسلام.

فمثلاً حينما طبقت قوانين العقوبات الإسلامية في بعض الدول أدى إلى إبراز تلك الصورة المشوهة للإسلام، فالإسلام قبل أن يقطع اليد مثلاً- كان معنياً بعدم لجوء الإنسان إلى السرقة وذلك بحل مشكلة الفقر وأوجد عنده الوعي على خطر القيام بمثل هذا العمل في الدنيا والآخرة ، واشترط شروطاً لا بد أن تتوفر في السارق والسرقة وظروف السرقة حتى نصل أخيراً إلى القطع، إذن لا بد أن تكون هناك منظومة مترابطة مع بعضها البعض في تطبيق كلي شمولي لأحكام الإسلام، وإلا فإن الأمر سيزداد سوءاً وتعقيداً وإذكاء للصورة المشوهة للإسلام في واقعنا المعاصر.

إن النظام الإسلامي نظام متكامل لا يقبل ترقيعاً، ولا غريباً أو دخيلاً في أنظمته مهما دقت في أعين الناس أو صغرت، فإن الدخيل بلا شك- سيؤدي إلى أمرين خطيرين:

١- عدم عمل أنظمة الإسلام بانسجام، لوجود أجزاء غريبة هجينة بعيدة عنه كل البعد.

٢- اتهام النظام الإسلامي بالقصور، وساعتئذ يكون بحاجة إلى تتميم من الأنظمة الوضعية، والتي لا تهدف إلا للقضاء عليه أصلاً.

فرسول الله ﷺ حينما عرض عليه الحكم[١] من قبل قريش رفض الأمر، لأن ذلك سيؤدي إلى عدم تحكيم الإسلام بكليته وشموله، وإلى أنْ يعيش في غير بيئته التي يجب على المسلمين أن يوجدوه فيها.

وعندما عرض رسول الله ﷺ الإسلام على القبائل، ومنهم بنو شيبان بن ثعلبة قال لهم رسول الله ﷺ: "إن دين الله لن ينصره إلا من أحاطه الله من جميع جوانبه"[٢].

وكما أنْ حال الإسلام في نظمه وتشريعاته كل متكامل مترابط، فكذلك حال الدراسات التي قامت حوله أيضا، فهي كل متكامل مترابط متفاعل، وإغفال أي جزء منها يؤدي إلى أحكام غير صحيحة غالباً.

فعلم الحديث لا يمكن أن يقوم وحده بأمر الشريعة الغراء، ولا يمكن بالمقابل أن يستغنى عنه، فهو ركن ركين وجزء أصيل من تلك المنظومة التي قامت عليها العلوم الشرعية وهي آخذة بنواصي بعضها بعضاً.

فالعلوم الشرعية العقيدة وعلومها، والقرآن وعلومه، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله،واللغة العربية- لا يستغني عنها أي طالب علم فضلاً عن العلماء، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يستغنى عن واحد منها أو يقصر في جانب منها، لأن الخلل سيأتي منه فكم من عالم[٣] في التفسير ملأ كتبه بغرائب الروايات ومستبعثها ، بله النقل من

[١]- سيرة ابن هشام (٢٩٣/١) ، ودلائل النبوة ، البيهقي (٢٠٢/٢).

[٢]- ثقات ابن حيان ، قسم السيرة ، (٨٨/١).

[٣]- مثل الخازن والثعالبي والزمخشري والواحدي وحتى السيوطي .

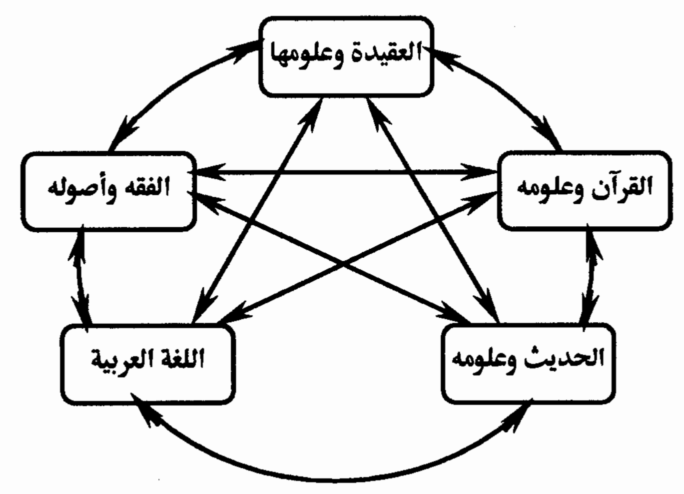
التوراة والإنجيل، والذي عرف بالإسرائيليات، وما ذاك إلا لعدم الربط بين التفسير وعلومه وبين الحديث وعلومه.

ونجد أيضا- بعض الفقهاء[٤] المعتبرين امتلأت كتبهم بالموضوعات والأكاذيب التي لا أصل لها جازمين بنسبتها إلى رسول الله ﷺ وهو منها براء.

وأما العقيدة وما دخل فيها وما خرج منها فهو ثالثة الأثافي والطامة الكبرى التي جرت على المسلمين التخبط والتردي قرونا.

في المقابل عندما فرح بعض المحدثين بما أوتوا وظنوا أنهم أخذوا حظا وافرا من العلم، وأصبحوا أمناء على حديث رسول الله ﷺ، وقطعوا صلتهم بالقرآن وعلومه، والعقيدة وعلومها، والفقه وأصوله، وقعوا في المضحكات المبكيات، فحين تعارض حديث صح سنده مع قطعي القرآن تمحل له بعض المحدثين كل الطرق للتوفيق بينهما، والحق أن لا واحدة منها تأتي بشيء.

إن العلاقة بين العلوم الشرعية الخمسة [القرآن وعلومه، العقيدة وعلومها، الحديث وعلومه، الفقه وأصوله،اللغة العربية] هي علاقة لا انفصام لها، علاقة مترابطة ومتكاملة ومتفاعلة فيما بينها، ذات حدود دينية، ويمكن أن تصور هذه العلاقة على النحو الآتي:



٤- مثل الغزالي والصنعاني والخطيب وغيرهم ، راجع نصب الراية وتلخيص الحبير وارداء الغليل والمغني عن حمل الأسفار للعراقي.....

❑ مشكلة الدراسة:

تطرح هذه الورقة بعض التساؤلات، والتي يمكن الإجابة عليها من خلال بيان منهج المحدثين في الرواية والنقد.

١- ما هي ملامح المنهج المتبع من قبل المحدثين لقبول الحديث أو رده.

٢- ما هي ملامح المنحى المنظومي في هذا المنهج.

٣- هل يمكن الإفادة من المنحى المنظومي في تطوير المواد الشرعية، ومنها علوم الحديث، وعرضها بطريقة تؤدي إلى الفهم والحفظ بشكل ميسر وبوقت وجهد أقل.

❑ أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١- بيان المرتكزات الأساسية التي يقوم عليها علم الحديث وهل تشكل هذه المرتكزات منظومة متكاملة.

٢- عرض مادة علوم الحديث على شكل منظومة تسهل على طلبة العلم فهمها وإدراكها وحفظها بشكل ميسر ومبسط.

❑ الدراسات السابقة:

منذ ابتدأ التأليف في علوم الحديث حاول الباحثون إيجاد العلاقات بين المصطلحات الكثيرة المتناولة من قبل علمائنا شرحاً وتفصيلاً، وكانت لهم مناهج متعددة في إيجاد هذه العلاقات إلا أنها تعاني من إشكاليات فعلى سبيل المثال:

١- ذكر د. محمد عجاج الخطيب في كتابه أصول الحديث ص(٣٥٧) في الفصل الرابع (المشترك بين الصحيح والحسن والضعيف) ذكر تحت هذا العنوان (الحديث المعلق) والحق أن هذا ليس مكانه، بل مكانه الحديث الضعيف ، وقال في الفصل الثالث ص(٣٣٧): الحديث الضعيف القسم الأول الأحاديث الضعيفة لعدم اتصالها ذكر المرسل والمنقطع ، وذكر ضمنها (المعلل) ولا أدري ما وجه ذكره في هذا الباب ، صحيح أنَّ المعلل قسم من أقسام الضعيف لكن ليس بسبب عدم الاتصال فقط.

٢- ذكر د. محمود الطحان في كتابه تيسير مصطلح الحديث (ص٨٨) المردود بسبب طعن في الراوي: الموضوع، المتروك ، ثم ذكر المعلل والمخالفة للثقات والمدرج والمقلوب والمضطرب والمصحف، وما أدري ما وجه ذكر المعلل وما بعده تحت هذا العنوان؟! فهذه المصطلحات لا تدل على طعن في الراوي، وإنما على طعن في المروي فقط، فهذه تقع من الثقات وهي أنواع من العلل وميدانها أحاديث الثقات الذين أخطأوا أو وهموا، ويسمى كل خطأ باسم حسب نوعه.

٣- قسم د. نور الدين عتر في منهج النقد الكتاب أربعة أقسام رئيسة :

الأول : أنواع الحديث من حيث القبول والرد.

الثاني : علوم المتن.

الثالث: علوم السند .

الرابع : العلوم المشتركة بين السند والمتن.

وهذا التقسيم يؤدي إلى بعثرة في ذهن الطالب،وصعوبة في كيفية رد كل قسم إلى متعلقه، مما يوعر الطريق ولا يسهلها.

وهذا غيض من فيض ، وفي هذه الورقة لن أطرح مصطلحات جديدة أو آتي بما لم يأت به الأوائل والأواخر، وإنما قمت بترتيب المادة على شكل منظومي، في ظني أنه يؤدي هذا الغرض، وهذا بالفعل ما لمسته من خلال تدريس المادة في فصلين دراسيين على هذا الشكل، فقد كان التجاوب معه كبيرا من قبل الطلبة.

تمهيد:

لقد تكفل الله تعالى بحفظ كتابه العزيز، ومن مقتضيات حفظه حفظ سنة رسوله ﷺ كيف لا وهي شارحة ومفسرة ومفصلة لأحكام القرآن الكريم، ولولا السنة لما عرفت كثير من الأحكام.

ولقد قيض الله تعالى لهذه السنة علماء ينفون عنها كيد الكائدين ويحمونها من عبث العابثين عن طريق منهج متقن محكم لم تسبق إليه أمة من الأمم من قبل، وغفلت عنه الأمم من بعد.

لقد خط القرآن الكريم ملامح هذا المنهج بقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) [الحجرات٦]. وقال تعالى: "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا"[الإسراء٣٦] ومن خلال قوله ﷺ "نضر الله امرءاً سمع مقالتي فأداها كما سمعها ، فرب مبلغ حفظ له من سامع"[٥] ، وقال: "ليبلغ الشاهد الغائب رب مبلغ أوعى من سامع"[٦] وكان يأمر ﷺ الوفود التي تفد إليه بحمل الإسلام إلى من خلفهم[٧].

وعندما توفي رسول الله ﷺ تحرز الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام في الأخذ بالسنة وفرضوا من الضمانات ما يكفل حفظ حديث رسول الله ﷺ من العبث والتحريف والضياع.

ثم تتابع المسلمون جيلا بعد جيل في الاحتياط لأحاديث رسول الله ﷺ ووضعوا من القواعد والأصول ما يصون هذه الأحاديث ويحفظها.

إن المنهاج الذي اتبعه المحدثون في رواية الحديث ونقده كان منهاجا متميزا ومتقدما أشبه ما يكون بالمنظومة.

---

[٥] - أخرجه الإمام أحمد(١/٤٣٧، ٥/١٨٣)..

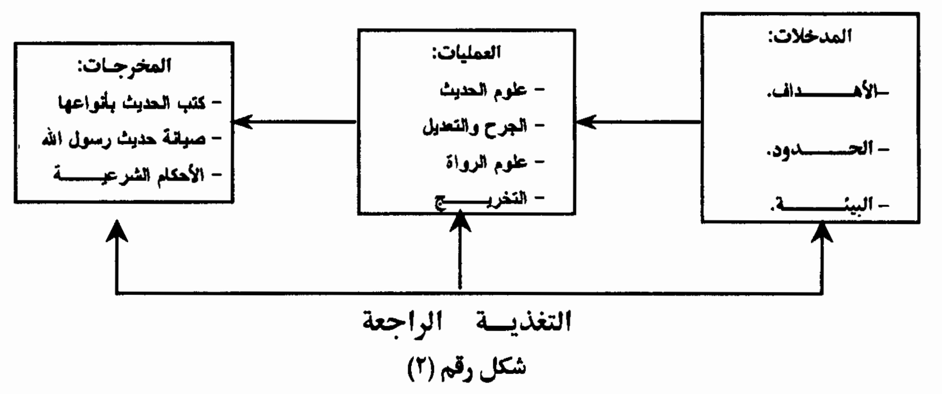
[٦] - صحيح البخاري كتاب العلم رقم (٦٧)..

[٧] - انظر فتح الباري ، ١/١٩٤.

هذا المنحى الذي قعد حديثاً، والذي يعرف بأنه كل مكون من أجزاء مترابطة فيما بينها بعلاقات لها حدود وبيئة، تقوم على حركة ديناميةية فيما بينها، هو جوهر وطريقة علم المصطلح.

❑ المرتكزات الأساسية التي قام عليها الحديث النبوي الشريف:

إن المرتكزات الأساسية التي قام عليها علم الحديث كمنظومة متسقة، ذات نتائج مذهلة ، يمكن أن يصور من خلال عناصر المنظومة الآتية:



شكل رقم (٢)

❑ منظومة المدخلات:

إذا أردنا أن ننظر في هذه المنظومة الصغرى المدخلات– فإنه يمكن أن نقول وباختصار – ما يأتي:

١- **الأهداف:** ويمكن تلخيص هذه الأهداف بـ:

أ- حفظ دين الله تعالى: وذلك من خلال صيانة حديث رسول الله ﷺ من العبث والتحريف والكذب.

ب- بيان ما وقع فيه الرواة من خطأ أو وهم في الرواية.

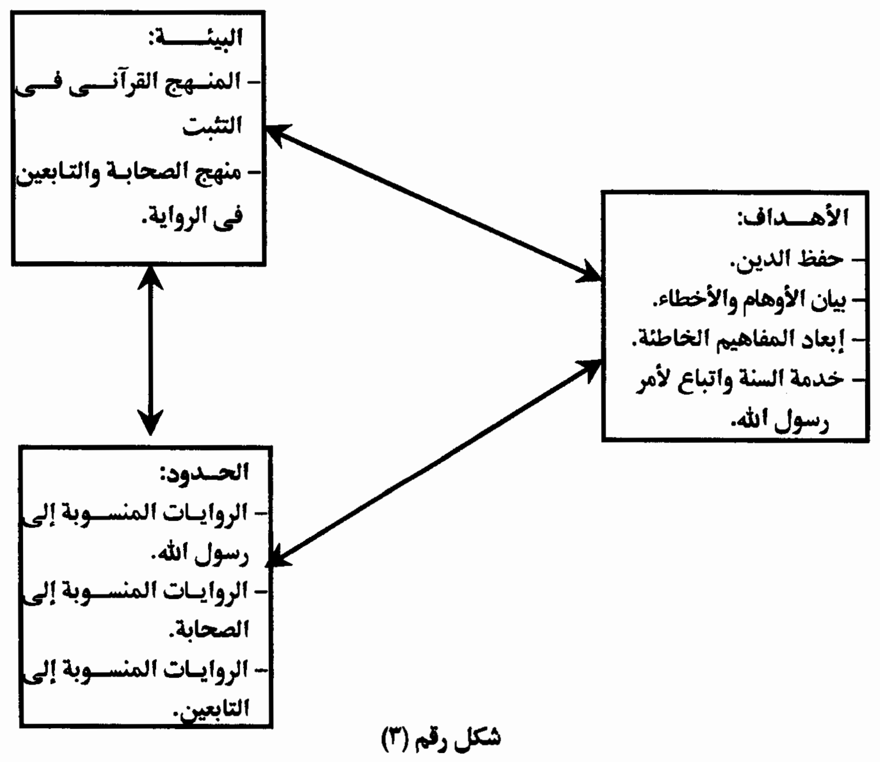
ج- إبعاد المفاهيم الخاطئة والخزعبلات والأوهام التي لا أصل لها في دين الله.

د- خدمة سنة رسول الله ﷺ والامتثال لأمر الله تعالى بطاعة رسوله ولا يمكن أنْ نطيعه دون معرفة سنته.

٢- البيئة وهي الأجواء التي نشأ فيها هذا العلم، وتتمثل في المنهج القرآني في التثبت. ومنهج الصحابة في الرواية.

٣- **الحدود:** وتتلخص في الأحاديث المنسوبة إلى رسول الله ﷺ وما نسب إلى الصحابة والتابعين من أقوال وأفعال.

وهذا شكل توضيحي لمنظومة المدخلات.



شكل رقم (٣)

❑ منظومة العمليات:

تتلخص منظومة العمليات في أربع قواعد أساسية لا يمكن أن نصرف النظر عن واحدة منها، أو نتجاوزها، ولا بد من إدراك العلاقة الوطيدة بين هذه القواعد الأساسية وهي:

١- علوم الحديث .

٢- الجرح والتعديل .

٣- علوم الرواة .

٤- علوم التخريج .

إن أي حديث جاء من المدخلات لا بد أن يمر على هذه القواعد الأربع، ويستحيل أن تكون المخرجات صحيحة إذا لم يكن في ذهن المحدث كيفية التعامل والربط بين هذه القواعد، وبالتالي فإن الحكم سيكون غير صحيح.

وسأضرب مثالا على ذلك:

إن تخريج الحديث في مصادره الأصلية، وعزوه إليها، من الوقوف على جميع النصوص الواردة المتعلقة بهذا اللفظ، يوفر لدينا الرواية الشاملة والثاقبة الأولية في الحكم على الحديث، وعدم تخريج الحديث تخريجا كاملا سيؤدي حتما إلى غياب بعض الأجزاء المهمة في الحكم على الحديث صحة وضعفا.

وقد وقع هذا من كبار العلماء، وأنا أكتفي بمثال واحد، فقد ضعف الشيخ الألباني رحمه الله تعالى- "حديث إذا أديت زكاة مالك فقد أهبت عنك شره"، ثم تراجع الشيخ عن حكمه هذا، بأن حسنه في (صحيح الترغيب) رقم (٧٤٣) فقد قال: ثم وجدت للحديث شاهدا من رواية أبي هريرة بسند حسن، ومن أجله كنت أوردته في صحيح الترغيب. فهو به قوي وينقل إلى الصحيحة"[٨].

مثال آخر : الراوي والمحدث الشهير (حماد بن سلمة) وثقه جمهرة من علماء الجرح والتعديل، وأخرج له مسلم وأصحاب السنن الأربعة.

وراو آخر هو: (عثمان الشحام العدوي) وثقه العلماء، وأخرج له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

وعثمان هذا شيخ لحماد وهو معروف بالرواية عنه، وقد روى مسلم في صحيحه لحماد لكن من غير طريق عثمان، وروى لعثمان أيضا من غير طريق حماد.

---

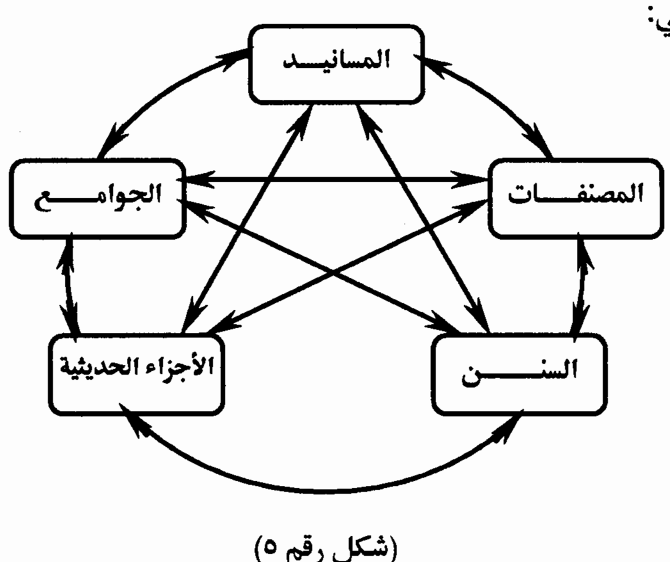
[٨] الألباني في كتبه ص٢٠.

ولنلاحظ هذا الأمر: فقد أخرج الحاكم في المستدرك حديثا من طريق حماد بن سلمة عن عثمان الشحام عن مسلم بن أبي بكرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول (اللهم أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر) هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وقد احتج مسلم بعثمان الشحام[٩].

قلت: لكن مسلمَ لم يرو لحماد عن عثمان، فهذه الطريق ليست على شرط مسلم، وبالتالي لا يصح أن نقول هذا الحديث على شرط مسلم، مع العلم أن مسلمَ احتج بحماد وبعثمان لكن من غير طريقهما معا.

❑ منظومة المخرجات:

أما منظومة المخرجات فكانت على نحو مذهل من التفنن والترتيب بعد أن دعت الحاجة في كل مرحلة إلى إبراز أنواع جديدة من الكتب المؤلفة في الحديث وهي ذات مناهج متنوعة متفقة في الغاية والهدف، وهو جمع أكبر قدر ممكن من حديث رسول الله ﷺ، تحقق لدينا صيانة حديث رسول الله ﷺ وحفظه من الضياع والعبث والتحريف، فالسنة بمجموعها قد حفظت بحفظ الله تعالى لها عن طريق ما ألهم الله هؤلاء العلماء من منهجية رائعة مترابطة، ومتناسقة. و منظومة المخرجات فتتمثل في الشكل الآتي:



(شكل رقم ٥)

[٩] المستدرك على الصحيحين(١/٩٠).

لقد كان هم المحدثين تدوين أكبر قدر ممكن من حديث رسول الله ﷺ في الكتب خوفاً من الضياع والعبث، وهذا ما تحقق لهم بالفعل، فقد جمعوا عددا كبيرا منها دون ترتيب معين، لكن دعت الحاجة إلى ترتيب خاص لهذه الأحاديث، خصوصاً إذا عرفنا أنها تقدر بالآلاف، فشمر العلماء عن ساعد الجد، وأخذوا يرتبون حديث رسول الله ﷺ وذلك حسب مناهج مختلفة:

فكان أن ظهرت المصنفات والموطآت وقد اعتنى هذا النوع بأحاديث الأحكام المنسوبة إلى رسول الله ﷺ، وهي المعروفة بالمرفوعات وأضافوا إليها الموقوفات والمقطوعات.

وبسبب هذا المزج بين أحاديث رسول الله ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين فقد ظهرت المسانيد والتي جمعت فقط حديث رسول الله ﷺ، ولكن رتبها مؤلفوها على أسماء الصحابة، وهذه الطريقة فيها عناء كبير للفقيه إذا أراد أن يبحث عن حديث لمسألة ما، وحينئذ يجب أن يقرأ كل المسند أو قسما كبيرا منه حتى يجد طلبته وقد لا يجد.

فظهرت كتب السنن وهي: كتب جمعت حديث رسول الله ﷺ المتعلق بالأحكام، مرتبة إياها على الموضوعات الفقهية، وقلما تجد فيها الموقوفات والمقطوعات، إذ هي ليست من غرض الكتاب.

وظهرت الأجزاء الحديثية وهي: كتب تعالج مسألة جزئية واحدة، حيث تجمع الأحاديث الواردة في هذه المسألة، مثل الصمت وحفظ اللسان، أو رفع اليدين في الصلاة، أو الجهاد في سبيل الله...

لكن الملاحظ أن تلك المؤلفات الآنفة الذكر ذكرت حديث رسول الله ﷺ سواء كان صحيحاً أم ضعيفاً، وهذا قد يؤدي ببعض الفقهاء والمطالعين لهذه الكتب إلى الأخذ بهذه الأحاديث دون أن يعرفوا مستواها في القبول أو الرد، فظهرت كتب (الجوامع) أو (الصحاح)، وكان هم أصحابها أن يجمعوا كل الأحاديث الصحيحة المتعلقة بأمور الدين

حتى يستطيع الفقيه والمفسر والأصولي أن يأخذ من الكتاب وقلبه مطمئن إلى أن كل ما فيه صحيح على شرط صاحبه.

❑ أما التغذية الراجعة فيما يتعلق بهذه المؤلفات تأخذ منحيين:

١- أنه في كل زمان ومكان يعيد العلماء النظر في أحاديث تلك المؤلفات تصحيحا وتضعيفا، وتعرض على العمليات مرة بعد أخرى، وهذا يعني أن التصحيح والتضعيف ليس بقطعي.

٢- أن تطور الحياة المستمر وظهور مسائل جديدة في واقعنا يحتم على العاملين في هذا الميدان إعادة ترتيب أحاديث رسول الله ﷺ، وما تتطلبه الحاجة في عصرنا، فالمستجدات كثيرة والعلوم منها ما اجتمع معا ومنها ما تفرع عنه فروع مختلفة، ودينا يصلح لكل زمان ومكان ، فلا بد إذن من تأليفات تتفق وواقعنا الجديد، ولا أعني اختراعا جديدا لأحاديث، معاذ الله!. بل اختراعا جديدا لأنواع من التأليف ترتب حديث رسول اللهﷺ وما يتطلبه واقعنا المعاصر. مثل دراسة الجوانب الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلاقات الدولية.

❑ منظومة علوم الحديث / منظومة فرعية من منظومة العمليات:

في هذه العجالة سأعرض لمنظومة علوم الحديث وهي منظومة فرعية من منظومة العمليات، وهي مادة تدرس كمساق مستقل في جامعات العالم الإسلامي.

وهي [٤] مادة حيوية عملية شيقة انقلبت إلى مادة نظرية ثقيلة يحسب لها طلبة العلم ألف حساب، والسبب هو حفظ كم هائل من المصطلحات المبعثرة، لا يلبث الطالب أن يقدم فيها امتحانا، حتى ينسى ما كان قد حفظ من قبل، وهذا ما لمسته من خلال تذكير الطلبة بهذه المصطلحات في مواد أخرى تدرس في الجامعات مثل: طرق التخريج ومناهج المحدثين وعلوم الرواة، فبالكاد يتذكر الطالب تلك المصطلحات، بل يجيب أحيانا: وكأنه لم يسمع بها قط.

---

[٤] انظر ورقتنا العلمية بعنوان "مساق علوم الحديث واقع ورؤية" مقدمة إلى مؤتمر جامعة الزرقاء في العام ٢٠٠١.

وأنا أعزو ذلك إلى سببين:

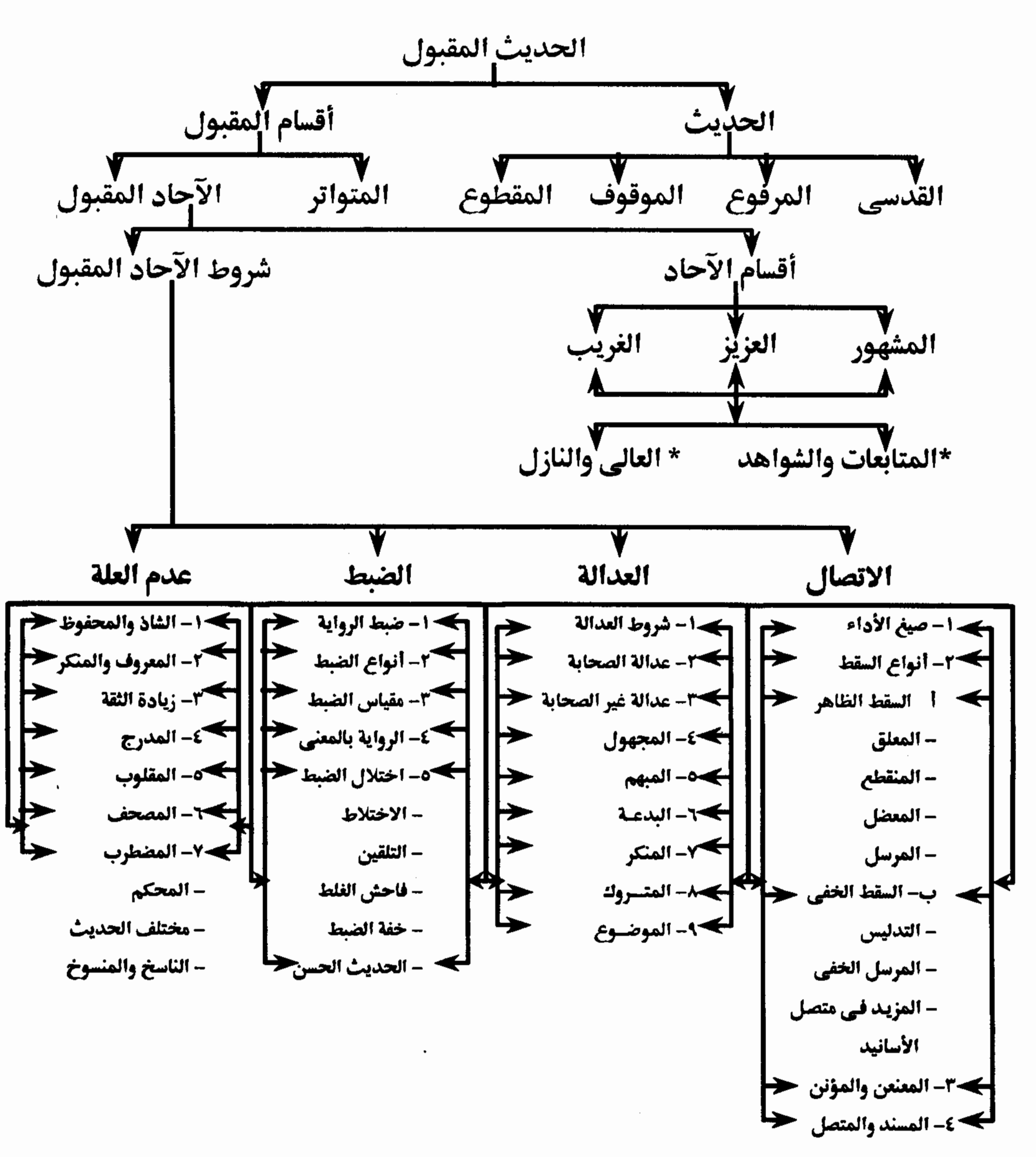
١- أن المادة عملية تطبيقية تدرس نظرياً ، فهناك ما يقرب من خمسين مصطلحاً يجب أن يحفظها الطالب عن ظهر قلب، لا يستطيع الطالب التفريق بينها في كثير من الأحيان. ويغيب المثال التطبيقي أو الأمثلة- العملية خلال الدرس، والعجب أنه إذا كان هناك مثال في واحد من كتب المصطلح فإن هذا المثال يتكرر في معظم الكتب التي ألفت من بعد وكأنه الوحيد في هذا الباب.

وأريد أن أضرب مثالاً واحداً فالمقام لا يتسع لأكثر من ذلك، والمثال في زيادة الثقة، والحديث الذي يضرب مثالا عليها: حديث **"فضلت على الأنبياء بخمس ومنها جعلت لي الأرض سجداً أو طهوراً"** وفيه زيادة **"وجعلت لي الأرض سجداً وتربتها طهوراً"**.

وبالعودة إلى عدد من المصادر والمراجع في هذا الباب وجدتها ذكرت المثال نفسه، انظر على سبيل المثال(ابن الصلاح ص:٧٩) والباعث الحديث (ص:٥٩)، فتح المغيب (٢١٦/١) وتدريب الراوي (٢٤٧/١)،توضيح الأفكار (٢٣/٢)، منهج النقد في علوم الحديث (ص:٤٢٦)، وتيسير مصطلح الحديث (ص:١٣٩)، ومحاضرات في علوم الحديث (ص:٨٩).

٢- على الرغم من كثرة المصطلحات المستعملة في المادة، فإنه لا يوجد في كثير من الأحيان علاقات واضحة تربط بينها، وإن وجدت فليست كفيلة بربط الطالب بها وحفزه لإدراك تلك العلاقات والتي من الممكن أن تسهم بشكل فعال في الفهم والحفظ.

وعليه فإني أضع مخططاً جديداً لهذه المادة كان له أثر إيجابي في طلبة (كلية الشريعة) في (جامعة جرش) خلال فصلين دراسيين، وإن كنت لا أملك إحصائيات مقارنة مع ما قبل ذلك أو بعده، أو مع جامعات أخرى، وإنما من خلال تفاعل الطلبة مع المادة بشكل مغاير، واستيعاب الطلبة لها في مدة أقل، والحق أني لم أستطع إكمال المادة في أعوام سابقة، وأما الفصلين السابقين من عام ٢٠٠٢/٢٠٠٣ ، ٢٠٠٣/٢٠٠٤ فقد أكملت المادة بشكل تام مع مراجعة عامة للمادة.


الحديث المقبول
الحديث
أقسام المقبول
القدسى
المرفوع
الموقوف
المقطوع
المتواتر
الآحاد المقبول
أقسام الآحاد
شروط الآحاد المقبول
المشهور
العزيز
الغريب
*المتابعات والشواهد
* العالى والنازل
الاتصال
العدالة
الضبط
عدم العلة
١- صيغ الأداء
٢- أنواع السقط
أ السقط الظاهر
- المعلق
- المنقطع
- المعضل
- المرسل
ب- السقط الخفى
- التدليس
- المرسل الخفى
- المزيد فى متصل الأسانيد
٣- المعنعن والمؤنن
٤- المسند والمتصل
١- شروط العدالة
٢- عدالة الصحابة
٣- عدالة غير الصحابة
٤- المجهول
٥- المبهم
٦- البدعة
٧- المنكر
٨- المتروك
٩- الموضوع
١- ضبط الرواية
٢- أنواع الضبط
٣- مقياس الضبط
٤- الرواية بالمعنى
٥- اختلال الضبط
- الاختلاط
- التلقين
- فاحش الغلط
- خفة الضبط
- الحديث الحسن
١- الشاذ والمحفوظ
٢- المعروف والمنكر
٣- زيادة الثقة
٤- المدرج
٥- المقلوب
٦- المصحف
٧- المضطرب
- المحكم
- مختلف الحديث
- الناسخ والمنسوخ

شكل رقم (٦)

إن غاية مساق علوم الحديث هو بيان للقواعد التي يجب على طالب العلم أن تبقى حاضرة في ذهنه للحكم على الحديث، ولا يجوز أن تغادر واحدة منها مخيلته، وإلا كانت الأحكام التي سيطلقها -والتي بنيت على هذه القواعد- غير صحيحة، والمهم هنا هو كيفية إيجاد العلاقات الصحيحة بين هذه القواعد، وكيفية الربط بينها، وإعادة كل قاعدة فرعية إلى قاعدتها الأم.

وعليه فإن الغاية الأساسية لعلم المصطلح هو بيان الحديث المقبول من المردود، ونستطيع القول أن معرفة الحديث المقبول في مثل هذه الحالة يظهر بشكل طبيعي وكل ما عدا ذلك فهو مردود، فإن علماءنا يعرفون الحديث الضعيف (المردود): بأنه كل حديث لم تتوفر فيه شروط الحديث المقبول.

وكما نرى فإن عبارة (الحديث المقبول) هي عبارة عن كلمتين:

شكل(٧)

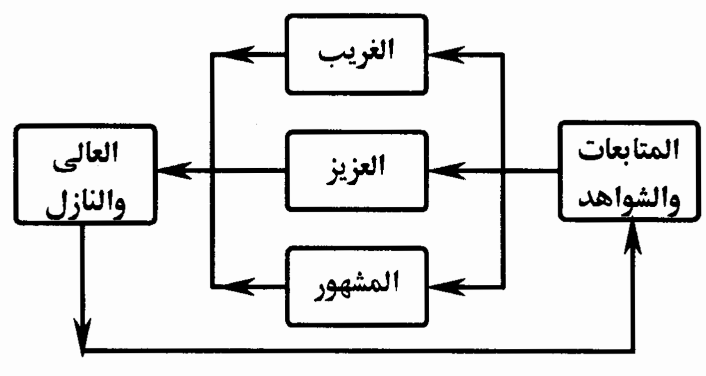
المقبول
الحديث
المقطوع
القدسي
الآحاد المقبول
المتواتر
الموقوف
المرفوع

فكلمة الحديث تعني كل ما نسب إلى النبيﷺ من قول أو فعل أو تقرير فهذا المرفوع، وكذلك ما نسبه الرسولﷺ إلى ربه وهذا القدسي، وما نسب إلى الصحابة فهذا الموقوف، والتابعين من أقوالهم وأفعالهم وهذا المقطوع.

أما كلمة المقبول فإنها تعني الحديث المتواتر فهو مقبول مطلقاً، وتعني أيضا الآحاد المقبول والذي قبل بعد أن توفرت فيه شروط معينة.

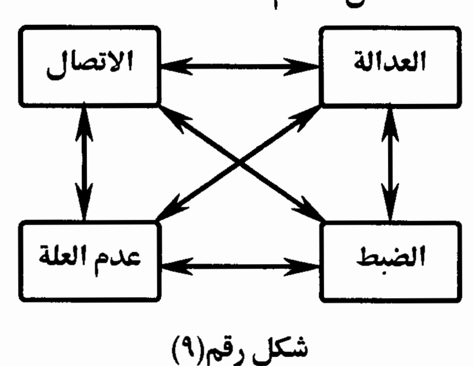
أما كلمة الآحاد المقبول فإنها تتشكل من كلمتين الآحاد وتعني كل حديث لم يتوفر فيه شروط التواتر، ويقسم إلى ثلاثة أقسام: المشهور والعزيز والغريب ، ومعرفة الحديث بأنه مشهور أو عزيز أو غريب لا تتم إلا من خلال تتبع طرق الحديث وبيان عددها، فتعدد الطرق يسمى متابعات وشواهد، ومن خلال بيان المتابعات والشواهد يتبين لنا هل الحديث مشهور أم عزيز أم غريب، وهذه المتابعات والشواهد منها ما هو عالي ومنها ما هو نازل.وذلك بحسب عدد رواة هذه الطريق وقربهم إلى رسول الله ﷺ فكلما كان العدد أقل كلما كان السند عاليا.

منظومة الآحاد:



شكل رقم (٨)

أما كلمة المقبول فإنها تتضمن شروط الحديث المقبول وهي أربعة شروط العدالة الضبط الاتصال- عدم العلة.



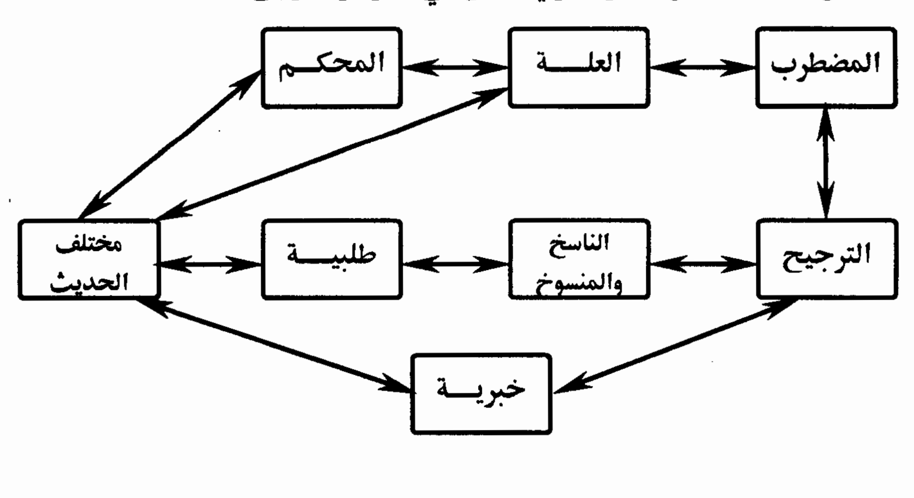
شكل رقم(٩)

وهذه الشروط الأربعة يجب أن تكون متوفرة جميعها في الحديث حتى يقبل، وأي خلل في واحد من هذه الشروط فإن الحديث لا يقبل، بعبارة أخرى إن أي خلل في واحد منها يكفي لرد الحديث ولا يشترط أن يكون الخلل فيها جميعها.

أمثلة على منظومات فرعية:

لو أخذنا منظومة فرعية وهي المضطرب وهي مأخوذة من منظومة أكبر وهي منظومة الشرط الرابع من شروط الحديث المقبول (عدم العلة) ، فهذا النوع عادة ما يدرس بمعزل عن أنواع أخرى لصيقة به ولا يمكن فصلها عنها، وهي محكم الحديث، مختلف الحديث ، الناسخ والمنسوخ، الترجيح ، المضطرب♦.

أقول إن الحديث الذي سلم من معارضة أي نص شرعي آخر يسمى (محكماً)، أما إذا عارضه نص آخر فهو الحديث (المختلف)، وساعتئذ نلجأ إلى التوفيق بين النصوص ، وإذا لم نستطع نبين (الناسخ من المنسوخ) منها إذا لم يكن في الأخبار- وإذا لم نستطع فإننا نلجأ إلى (الترجيح) أي أيهما أقوى ، فالأقوى هو الذي نأخذ به وإذا لم نقدر أن نرجح أحدهما على الآخر أي تساويا في القوة ولا مرجح فإننا نحكم بـ(الاضطراب)، فالمضطرب هو تساوي نصين في القوة ولا مرجح.



شكل رقم (١٠)

♦كانت هذه الأنواع تدرس في ثلاث إل أربع محاضرات الآن تدرس في محاضرة واحدة فقط.

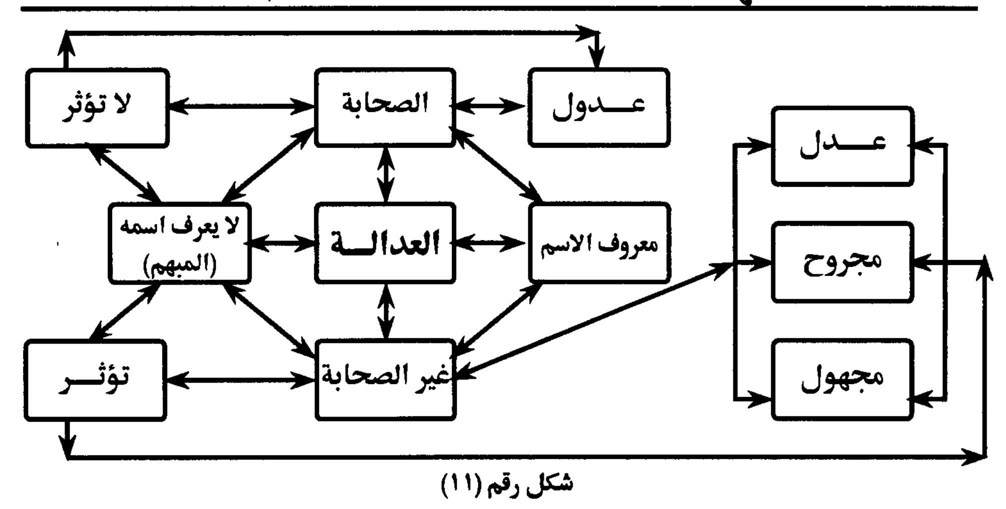
➢ مثال آخر:

عند تدريس المبهم يعرف بأنه الذي لا يعرف اسمه، وهذا النوع يدرس في علوم الرواة، والصواب أن يدرس مع شرط العدالة على النحو الآتي:

- إما أن يكون الراوي معروف الاسم أو غير معروف.
- إذا كان غير معروف الاسم فهو مبهم ، لكن يجب أن ننظر إن كان المبهم صحابياً فلا يضر الإبهام هنا لأن الصحابة كلهم عدول ، وإن كان غير صحابي فإن الإبهام مؤثر فيه حيث لا تقبل روايته حتى يعرف، فإذاعرف فإنه سيدور بين أحكام ثلاثة وهي؛ عدل أو مجروح أو مجهول.
- أما إذا كان معروف الاسم؛ فإما أن يكون صحابياً أو غير صحابي، فإن كان من الصحابة فإنهم كلهم عدول.
- أما إن كان غير صحابي فإن الرواة يدورون بين ثلاثة أحكام :
- إما عدل.
- أو مجروح .
- وقسم ثالث مجهول.

وهذا القسم لا يعني جرحاً ولا تعديلاً وإنما عدم معرفة بحال الراوي هل هو معدل أم مجرَّح، حتى يثبت أحد الطرفين، إما العدالة وإما الجرح، ولا نعني بمجهول أنه مجرَّح، بل يقرر العلماء أن نقلة حديث رسول الله ﷺ يجب أن تكون فيهم صفات زائدة، وهي ما يعرف بالعدالة، وإلا فالمسلمون الأصل فيهم أنهم عدول إلا ما ثبت فيه غير ذلك.

وفي الشكل الآتي شكل رقم(١١) ما يبين العلاقة بين هذه المصطلحات:



شكل رقم (١١)

❑ الخاتمة:

وفي ما يلي عرض لأهم النتائج والتوصيات:

١. إن المحدثين هم من أوائل من عرفوا هذا الفكر واستخدموه في وضع منهجية متفوقة ومتقدمة في حفظ حديث رسول الله ﷺ.

٢. إن مادة علوم الحديث والتي يستثقلها ويستصعبها الطلبة أصبحت في رأيي غير ذلك، وهذا من خلال تفاعل الطلبة مع المادة.

٣. إن طريقة عرض مساق علوم الحديث بهذا الشكل هو جديد، وهو بلا شك قادر على تقريب المادة لطلبة العلم بشكل أفضل، وإن كنت لم آت بجديد في المادة العلمية.

٤. إن النظام الإسلامي كل متكامل مترابط متفاعل وعدم إدراك الروابط والعلاقات بين الأنظمة يؤدي إلى عدم فهم الإسلام أو الإساءة إليه، كما أن الدراسات التي انبثقت عن هذا النظام وهي الدراسات الشرعية هي دراسات منظومية مترابطة للوصول إلى تطبيق شرعي صحيح متكامل يرضي الله ورسوله.

❑ التوصيات:

١. إن أساليب التدريس في العلوم الشرعية ينبغي أن تتبع المنحى المنظومي، للوصول إلى أفضل وأحسن النتائج في وقت أقل.

٢. إعادة النظر في الدراسات التي قامت حول الإسلام واستكشاف مناهج العلماء في التفكير والتعليم والتدريس والتأليف.

﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾